

## عن كهنوت المرأة الأب أنطوان ملكي

يُتسع حيز مناقشة كهنوت المرأة في الكنيسة الأرثوذكسية وتزداد المساهمات فيه، لغايات وخلفيات مختلفة. بعض هذه المساهمات يأتي دهرياً بالكامل، أي بالذهنية والأسلوب، وفي الغالب أن أبناء الكنيسة لا يجدون أي انشداد إلى قراءته، وإنْ باشروا فإنهم لا يكملون. هذه المساهمات بغالبيتها تكشف من البداية أن محركها هو الالتزام بأجندات حركات العصر الجديد من حقوق الإنسان وحقوق المرأة وغيرها، وأحياناً لا يكلف كاتبها أنفسهم عبء البحث عن تعليم الكنيسة في هذه الأطر. البعض الآخر من هذه المساهمات يصدر عن لاهوتيين أوصلتهم قراءتهم إلى تساؤلات أو إجابات في هذا الموضوع، وتختلف هذه الكتابات بأسلوبها ومضامينها، ويجد المؤمن نفسها مشدوداً إلى قراءتها وهي لا تخلو من معارف قد تفيد هذا المؤمن إن كان متجذراً في معرفته، أو تحرفه إن لم يكن كذلك. من بين هذه المساهمات دراسة نشرها الأستاذ نقولا أبو مراد عبر الفيسبوك على صفحته بثمانية أجزاء تحت عنوان كهنوت المرأة. استوقفتني عدة نقاط في هذه الدراسة، على درجات مختلفة من الأهمية.

### المنهجية

يريح الأستاذ نقولا قارئه في الجزء الأول بقوله: "اعتاد قارئني أن أتناول مواضيعي، على هذه الصفحة، انطلاقاً من قراءتي للكتاب المقدس". بهذا هو لا يدعي أنه يعرض موقف الكنيسة ولا هو يحقلها رأيه كما يفعل آخرون. وأبعد من هذا أنه يوضح منهجيته وبالتالي من لا يوافقها عليها، ليس مضطراً إلى قراءة ما تبقى من الدراسة. ملاحظتي هنا أننا نشأنا واختبرنا أن المنهجية المستندة إلى الكتاب المقدس هي منهجية بروتستانتية في مقابل المنهجية الأرثوذكسية التي تقر كل الأمور من خلال قراءة الكنيسة للإنجيل عبر الآباء والليتورجيا وحياتها بشكل عام. هذا الكلام لا يحمل أي اتهام للأستاذ نقولا بالبروتستانتية ولا أتمنى أن يفهمه أحد كذلك، إذ هو يستشهد بالآباء والليتورجيا في أكثر من نقطة، لشرح فكرته ودعمها. في الجزء الثاني، يذكر الأستاذ أن كتاب "في الكهنوت" منسوب إلى الذهبي الفم، ويشكك في ذلك بقوله "إذا صحت النسبة - وتقديري أنه متأخر زمنياً إلى ما بعد القرن الخامس"، دون أو يشرح سَنَدَ تقديره. قد يكون، كعالِم، محقاً. لكن كونه يكتب لشعب تتعدد درجات اطلاعه العلمي، هو لا يستطيع أن يستند إلى تقديره الذاتي إذ قد يكون بين القراء من لا يعرف موقعه العلمي أو لا يقبل هذا النوع من الاستناد غير المفسر، خاصةً أنه يطال مرجعاً درس فيه كل من درس فكرة الكهنوت سواء في المعاهد أو المدارس أو الفرق. ومع أنه يعود ليستشهد به في جزء لاحق من المقال، إلا أن هذا لا يفسر الكلام الأول ولا يغيّر من طبيعته المثيرة للحيرة.

### الاستنتاجات

في الجزء الثامن يذكر الأستاذ أن "في قناعتني أنّ تعبير "الكهنوت"، لكونه متصلاً بشكل وثيق بالرواية الكتابية ومسيرة تطورها، وصولاً إلى العهد الجديد، يحمل بعداً دلاليًا فقط، وما هو بكيان أو مؤسسة قائمة بذاتها. فالكتاب، كما رأينا، يُفرغ تعبير 'الكهنوت' من بعده المؤسساتي، الحصري، ويودعه دلالاتٍ تتصل بواجب كل مؤمن أن يتعلم كلمة الله ويتممها." صحيح أن الكتاب يفرغ تعبير "الكهنوت" من بعده المؤسساتي، لكن الكنيسة في وجدانها وحياتها تعطي الكهنوت بعداً أسرارياً، سقاه الأستاذ نقولا وظائفيًا. في هذه النقطة، تفيدنا العودة إلى كتاب "سر الكهنوت" للأرشمندريت غريغوريوس اسطفان، حيث يقدم قراءة شاملة للكهنوت في العهدين وارتباطهما واكتمالهما في شخص يسوع المسيح الذي أنشأ سر الكهنوت وجعل خداماً له في الكنيسة. في الجزء الثامن أيضاً، ينقل الأستاذ نقولا عن الـذيذاسكاليا أن العمل الليتورجي للشمامسات يرتبط بمعمودية النساء، وأن عملهن الرعائي يقوم على مساعدة النساء والعناية بهن، وأنه ليس لهن أي دور في الخدمة الإفخارستية؛ "كما يُمنع عليهن أن يعلمن في الكنيسة أو يقمن بالمعمودية بأنفسهن". ومن ثم يورد عدداً غير قليل من المراجع والآباء الذين يقولون هذا الكلام عينه، ليقدم من ثم تفسيره: "وإنني أفسر هذا التراجع على خلفية ما أوردته أعلاه، وهو أنّ المسيحيين بدأوا، في وقت ما بين القرنين الرابع والسابع، يستعملون تعبير 'كهنوت' ومشتقاته للكلام عن الأساقفة والمشيخة والشمامسة، وأنه، مع مرور الوقت، صار استعمال هذه العبارة للكلام عن النساء في إحدى هذه الوظائف ثقيلًا لارتباط كهنوت النساء بممارسات كانت المسيحية في أوج صراعها معها. وأنّ تعبير 'الكاهنات' كان له مدلول غير مقبول لدى المسيحيين". لا يبدو هذا التفسير مقنعاً، خاصةً أنه غير متصل بما قبله.

قبل أن يختم الأستاذ كلامه بأنه لا يرى "أي مسوغ كتابي أو لاهوتي على ألا تكون المرأة محققة لكهنوتها الملوكي، الذي أعطي لها من الله من دون مئة أحد، وأن تمارس وظائف الأسقف والشيخ والشماس، تمامًا كما أراد العهد الجديد أن تمارس هذه الوظائف"، يذكر لقائين له، الأول مع المطران جورج خضر الذي حسمها بأنه "لا يوجد في اللاهوت المسيحي عامة والأرثوذكسي خاصة، أي حجة ضد كهنوت المرأة"، والثاني مع السيدة إليزابيت بير سيجيل التي اعتبرت أن نظرة الكنيسة إلى خدمة المرأة هي قيدٌ ينبغي التحرر منه. إن إيراد الرأيين في هذا السياق بدا كأنه عملية استنجد للوصول إلى الاستنتاج الذي كان قد هيا له قبلاً. يتساءل الأستاذ في نهاية الجزء الثالث: "هل من كهنوت للمرأة؟ طبعًا، من يجيب بالنفي، بناءً على السياقات والمضامين التي أوردتها حتى الآن، يكون قد أساء فهم الكتاب". إن طرح هذا السؤال بهذه الطريقة لا يخلو من تذكير. فالجواب الذي لا يختلف عليه أرثوذكسيان هو "نعم لها الكهنوت الملوكي" وقد يتابع قسم من الأرثوذكسيين بـ"فقط دون الكهنوت الأسراري". هل من تبني هذا الجواب أساء فهم الكتاب؟ هل كاتبو "القوانين الرسولية" بمنعهم المرأة من تخطي الشموسية في الدرجات الكهنوتية أساؤوا فهم الكتاب؟ هل الرسول بولس بمنعه النساء من ممارسة النبوة، التي يرى الأستاذ أنها تظهر في التعليم والوعظ، أساء فهم الكتاب؟ أليس بين كل اللاهوتيين الأرثوذكسيين الذين يرفضون كهنوت النساء أي واحد يفهم الكتاب؟

هذه أسئلة مشروعة وليست للتحدي، بل للقول بأن هذا الموقف، الذي لا يخلو من استعلاء، لا يتوافق مع فهم الكتاب ومعرفته بحسب تقليد الكنيسة الأرثوذكسية البالغ من العمر ألفي عام. فالكتاب المقدس لم يكن يوماً للرياضات الفكرية بل الروحية.

إلى هنا تنتهي ملاحظاتي التي أوردتها بخلفية القارئ وكاهن الرعية. ما يلي بعض أفكار حول موضوع كهنوت المرأة ومجمل ما يترافق معه من حركة.

### لماذا كهنوت المرأة؟

غالبية الأرثوذكسيين الذين أعلنوا أنهم لا يجدون مانعاً لاهوتياً أو كتابياً يحول دون سيامة النساء إلى رتب أعلى من الشموسية، حددوا أن الدافع لبحثهم في هذا الموضوع هو محاكاة الغرب أو ملاقاته. من هؤلاء مطران جبل لبنان السابق الذي ذكر في مقابلة أنه "مش ولد باللاهوت" وقد فكّر فوجد أن المرأة على الرغم من مشاكل "الهرمون" قادرة على القيادة والإدارة لهذا هو لا يجد مانعاً أمام سيامتها، وأن على الأرثوذكس أن يدرسوا هذا الأمر لأن الغرب يفكر به. بهذا أظهر سيادته جلياً أن أساس طرح المشكلة هو خارج الكنيسة، وأن مقاربتة، وهي بالإجمال نفس مقاربة الذين وصلوا إلى نفس الاستنتاج، هي أيضاً من خارج الكنيسة. وهنا أورد بعض الملاحظات التي لا أدعي أنها ترقى إلى موقع الرد على أحد:

١- الكهنوت في الكنيسة الأرثوذكسية "سر" وليس وظيفة. هذا محدد في الكنيسة الأرثوذكسية، وعندنا في أنطاكية في الدليل الرعائي الصادر عن المجمع، والذي يقول بأن يسوع أسس السر لكي أن الرسل وخلفاءهم من الكهنة يأخذون "القوة في تتميم الأسرار ورعاية النفوس وتعليم المؤمنين لتحقيق الكنيسة جسد المسيح" ويحيل النص القارئ إلى نصوص من الأناجيل الأربعة<sup>١</sup>. أظهر الأستاذ نقولا في مقالته استناداً إلى الكتاب، أن الكهنوت ليس وظيفة ولكنه أهمل أنه سر، وختم دراسته بأن المرأة قادرة على أن "تمارس وظائف الأسقف والشيخ والشماس، تماماً كما أراد العهد الجديد أن تمارس هذه الوظائف". المطران جورج خضر أيضاً أهمل أن الكهنوت سر ولم يحك إلا عن الوظيفة. إن هذا الإهمال يعكس نظرة مجتزأة، توصل منطقياً إلى نتائج جزئية. قد يكون أفضل تعليق على هذا الاجتزاء ما يذكره الطيب الذكر كاليستوس وير: "كما أن البعض يريد أن يستمع إلى كلمات الإنجيل التي لا تمنع الكهنوت عن النساء، عليه أن يستمع إلى صمت الكنيسة عن قبول الكنيسة لهذا الكهنوت على مدى ألفي عام."<sup>٢</sup>

٢- في الأدب المسيحي اليوم، الأرثوذكسي والكاثوليكي تحديداً، الكثير من النقاط التي يهملها الداعون إلى سيامة النساء في رتب أعلى من الشموسية في الكهنوت الأسراري. يلخص الأب ألكسندر تافت تعليم الكنيسة الأرثوذكسية اللاهوتي: "تعتمد مسألة النساء في الكهنوت على تحديد الكاهن. فالكاهن ليس مثل القسيس البروتستانتي. قد تكون المرأة قسيساً. الكاهن يقدم ذبيحة. الكاهن المسيحي يقدم ذبيحة المسيح. المسيح هو

١ المجمع الأنطاكي المقدس (٢٠١٢). الدليل الرعائي. بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس. دير سيده البلمند البطريركي. ص. ١٥٩.

2 Bishop Kallistos Ware. (1983) "Man, Woman and the Priesthood of Christ". Women and the priesthood, Thomas Hopko (ed.). St. Vladimir's Seminary Press. New York. p. 16

المقدّم (كرئيس كهنة) والمقدّم (كذبيحة). هذه عقيدة الكنيسة الثابتة الموجودة في القديس الإلهي. لذلك، من يقدّم (الكاهن) يجب أن يتشابه مع المقدّم (الذبيحة). المسيح هو الكلمة المتجسد، الأقبوس الثاني في الثالوث. تجسد المسيح كرجل. لماذا؟ الثالوث القدوس بطبيعته ليس ذكراً أو أنثى. الثالوث روح. ومع ذلك، فقد أعلن الله الآب عن نفسه كذكر. لماذا؟ الآب يخلق كل الأشياء المنظورة وغير المنظورة. الذكر هو مصدر الخلق. يجب أن تحمّل الأنثى من الذكر. بما أن الذكر هو المصدر الطبيعي للخليقة، فإن المصدر الفائق للطبيعة يظهر كأب. المسيح الابن مولود من الآب إلى الأبد. إنه صورة الآب. عندما وُلد في الوقت المناسب، كشف عن نفسه كذكر. لذلك، لكي يتشابه الكاهن مع المسيح كما يكشف عن نفسه، يجب أن يكون ذكراً. هذا هو تدبير الخلاص كما يعلنه الكتاب المقدس. هذا هو تدبير الخلاص، كما هو محدد في عقائد المجامع المسكونية. أن يكون الكاهن أنثى هو نقض لكل تدبير الخلاص<sup>3</sup>

٣- يشدد الطيب الذكر الأب ألكسندر شميمين على أن إطار مناقشة كهنوت المرأة هو التقليد ولا يمكن عزلها عن مجملها، وينبغي أن تتم هذه المناقشة من ضمن نظرة الكنيسة إلى الرجل والمرأة (الأثروبولوجيا) استناداً إلى العقيدة والكتاب وليس من منظور "حقوق الإنسان" أو حقوق المرأة، ويشدد على أن من الخطير ربط مكانة المرأة في التراتبية الكهنوتية بمرتبها في التراتبية الاجتماعية، حيث أن الفكر الدهري يشير إلى أن "تحرير" المرأة في المجتمع يقتضي تحريرها في الكنيسة، أي سيامتها. الأب توماس هوبكو يرى أنه بما أن كهنوت النساء لم يكن موجوداً يعني أن إيجاده اليوم هو ابتداء<sup>4</sup>.

٤- خبرة المجموعات المسيحية الأخرى

يجب أن نتعلّم من خبرة المجموعات المسيحية الأخرى. ما نستنتجه من خبرة الأنكليكان والبروتستانت، وتشير تقارير كثيرة إلى أن الكتلحة ليست خارج هذا السلوك إنما بشكل غير رسمي، أن كهنوت النساء تبعه قبول المثلية. هنا لا بد من التساؤل: هل قد يأتي وقت يقول لنا علماء اللاهوت عندنا أننا أسأنا فهم الكتاب برفضنا المثلية؟ أو أن كلام الرسول بولس في تجريمه المثلية كان في سياق معين واليوم تغيّر؟

٥- ما المشترك بين كهنوت المرأة والمثلية؟ إنه التلاعب بالأدوار التي حددتها الطبيعة واعتمدها الكنيسة في توزيعها الأدوار. من دون الخوض في دور المرأة في الكنيسة، الأكيد أنها لا تستطيع أن تكون أباً، لهذا هي لا تستطيع أن تكون كاهناً. في المثلية تنقلب الأدوار. التلاعب بالأدوار خطر في كل المجالات. هذا ما تؤكده علوم الاجتماع والنفس وحتى الطبوا الأخطر من كل ذلك، أن قلب الأدوار هو أسلوب ضد المسيح.

3 Fr. Alexander Tefft. Chaplain, Institute for Orthodox Christian Studies, Cambridge: Pravmir, 08 February 2009. <https://www.pravmir.com/women-and-the-priesthood/>

4 Fr. Alexander Schmemmann. (1983) "Preface". Women and the priesthood, Thomas Hopko (ed.). St. Vladimir's Seminary Press. New York. pp. 7-8

5 Fr. Thomas Hopko. (1983) "On the Male Character of Christian Priesthood". Women and the priesthood, Thomas Hopko (ed.). St. Vladimir's Seminary Press. New York. p. 99.

6 Frederica Mathewes-Green. Women's Ordination. Ancient Faith Blog. January 14, 2007. <https://blogs.ancientfaith.com/frederica/writings/womens-ordination>

7 Oláh, L.S., Kotowska, I.E., Richter, R. (2018). The New Roles of Men and Women and Implications for Families and Societies. In: Doblhammer, G., Gumà, J. (eds) A Demographic Perspective on Gender, Family and Health in Europe. Springer, Cham. [https://doi.org/10.1007/978-3-319-72356-3\\_4](https://doi.org/10.1007/978-3-319-72356-3_4)

ختاماً، من آخر ما صدر في العالم الأرثوذكسي مختارات بعنوان "النساء والرسامة في الكنيسة الأرثوذكسية: استكشافات في اللاهوت والممارسة"<sup>8</sup>. تتكرر، في أكثر من مقال، الدعوة إلى إعادة إحياء خدمة الشماسات كاختبار لكل ما يُقال مع أو ضد كهنوت النساء. إن هذه الدعوة محقة، لكن لا للاختبار بل لأنها حاجة. إن رفض أن تكون المرأة في الكهنوت الأسراري في غير الشموسية هو احترام لتقليد الكنيسة وعمرها، كما لكل الذين أتوا إلى الأرثوذكسية في القرن العشرين رفضاً لكهنوت المرأة ولاحقاً لقبول المثلية. إن رفض أن تتخطى المرأة الشموسية ليس تسلطاً ذكورياً ولا خوفاً من التغيير ولا تمسكاً بالتقاليد، بل هو إيمان بأن النقص هو فينا وليس في ما تسلّمناه، لأن المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

---

8 Gabrielle Thomas and Elena Narinskaya, eds. (2020) *Women and Ordination in the Orthodox Church: Explorations in Theology and Practice*. Eugene, OR: Cascade Books.